الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة: دراسة تحليلية

The Quranic Citations in Nahj al-Balagha: An analytical Study

م. م. محمد زكي جواد العميدي
ديوان الوقف الشيعي

Asst. Lect. Muhammed Zaki Jawad Al-Amidi

https://doi.org/10.64704/almubeen.2025012402

ملخص البحث

يسلط البحث الضوء على العلاقة المتبادلة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، وكيفية استلهام الإمام علي (عليه السلام) معاني القرآن واستعمالها في معالجة القضايا السياسية والدينية والاجتماعية.

Abstract

The study sheds light on the interrelationship between the Holy Qur'an and Nahjal-Balagha, and explores how Imam Ali (PBUH) was inspired by Qur'anic meanings and employed them to address political, religious, and social issues.

Keywords: The Holy Qur'an, Nahj al-Balagha, Imam Ali.

المقدمة

يُعَدُّ نهج البلاغة أكثر من مجرد كتاب يضمُّ خُطبًا ورسائل وأقوالًا قالها الإمام عليٌّ بن أبي طالب (عليه السلام). إنَّه عملٌ أدبيٌّ وفكريّ فريد، يتَّسم بعمق المعاني، وروعة البلاغة، وثراء المحتوى الفكري والروحي. يجمع هذا الكتاب بين الحكمة البالغة، التي تعكس تجربة حياة ممتدة على مستويات مختلفة من الصراع السياسي والاجتماعي، وبين الفصاحة التي تُعدُّ قمَّةً في التعبير العربي، ولكن أكثر ما يُميّز هذا النص هو توظيفه الكثيف والمتناغم للآيات القرآنية، التي لا تُستعمل لمجرد الاستشهاد اللفظي، بل لتُصبح جزءًا جوهريًّا من بنية النص ومعانيه. يهدف هذا البحث إلى دراسة توظيف القرآن في "نهج البلاغة"، وبيان كيف أسهم هذا التوظيف في تعزيز رسائله السياسية والاجتماعية والدينية.

وكان الإمام علي (عليه السلام) من أهم الشخصيات التي برزت في مجال البلاغة والفصاحة في العصر الإسلامي. وقد أقرَّ له الرسول محمد (صلّى الله عليه وآله) بذلك حين قال: «أَنَا مَدِينَةُ اَلْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، ممَّا يُظهرُ المكانة الخاصة له في مجال العلم والبيان. هذا التفوق اللغوي تجلّى في "نهج البلاغة"، الذي أظهر براعة الإمام في صياغة خطب ورسائل تتراوح بين العمق الفكري والجزالة اللغوية.

تتسم لغة الإمام باستعمال الكلمات الدقيقة والمُحمَّلة بالمعاني، ما يجعل النصوص قادرة على إيصال مفاهيم متعددة في عبارات موجزة. هذه الخصائص البلاغية تُعد نقطة التقاء مع القرآن الكريم؛ إذ يشترك النصان في استعمال الإيجاز والتكثيف المعنوي الذي يترك أثرًا بالغًا في المتلقي. ويظهر ذلك بوضوح في خطبٍ مثل الخطبة الشقشقية، التي تفيض بالقوة اللغوية والإيحاءات القرآنية.

القرآن الكريم هو النص المحوري في الفكر الإسلامي، وتفاعَلَ الإمام علي (عليه السلام) معه تفاعلًا يتجاوز الاستشهاد، ليشمل التضمين البنيوي واللغوي في "نهج البلاغة".

والإمام علي (عليه السلام) استعمل الآيات القرآنية في "نهج البلاغة" ليس فقط كاستشهاد مباشر، بل كجزء لا يتجزأ من نسيج خطبه ورسائله، ما يعكس فهمه العميق لمعاني القرآن الكريم وارتباطه الروحي به. هذا التوظيف يتميز بأساليب عدة تشمل الاقتباس المباشر، والتضمين الضمني، وإعادة صياغة الآيات بأسلوب يُبرز المعنى ضمن سياق الخطبة أو الرسالة.

يتجلّى الاقتباس المباشر في مواضع عديدة من "نهج البلاغة"، حيث يورد الإمام الآية القرآنية كما هي لتعزيز حجة أو شرح مفهوم. مثال على ذلك في خطبته عن حقيقة الدنيا وزوالها، يقول: «أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا... أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ... أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَطْوَلَهَا أَعْمَارًا، مَلَؤُوا الْبِلَادَ وَأَدْلَوْا فِيهَا الْأَوْتَادَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣). ثم يستشهد بالآية القرآنية: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق: الآية ٧]، إذ يظهر التناسق في تصوير زوال الحياة الدنيوية باستعمال الكلمات القرآنية.

وفي بعض المواضع، لا يقتصر الإمام علي (عليه السلام) على الاقتباس الحرفي، بل يُعيد صياغة المعنى القرآني بما يخدم مقاصد خطابه. مثال على ذلك، في خطبته عن خلق الإنسان ومحدودية قدرته، يقول: «فَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ؟ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ، وَهُوَ بَيْنَ ذٰلِكَ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ»! (نهج البلاغة، الخطبة ١٩١). هنا نجد إشارة إلى المعاني القرآنية التي تصف ضعف الإنسان وابتداءه من النطفة وانتهاءه

بالموت، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٣] و﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: الآية ٢٨].

والإمام علي (عليه السلام) كان يوظف القرآن لإثبات شرعية موقفه الديني والسياسي، ولاسيَّما في سياق الفتنة والصراع على السلطة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله). ففي رسائله إلى معاوية بن أبي سفيان، نجده يُذكّر بالأسس القرآنية للحكم العادل، كما في قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٦). هذا الاستشهاد يستند إلى مفاهيم قرآنية مثل الحكم بالشريعة والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء: الآية ٥٨).

وأحد أبرز موضوعات "نهج البلاغة" هو الدعوة إلى العدالة الاجتماعية ومقاومة الظلم، فالإمام علي (عليه السلام) قد استعمل الآيات القرآنية كثيرًا؛ لتبيان مسؤولية الحاكم تجاه الرعية، كما في قوله: «وَاللَّهِ لَوْ وَجَدتُهُ قَد تُزُوِّجَ بِهِ النِّساءُ، ومُلِكَ بِهِ الإِماءُ؛ لَرَدَدتُهُ، فَإِنَّ فِي العَدلِ سَعَةً، ومَن ضاقَ عَلَيهِ العَدلُ فَالجَورُ عَلَيهِ أضيَقُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤). هذه الفكرة متأثرة بالآيات التي تأمر بالعدل، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (سورة النحل: الآية ٩٠).

والإمام علي (عليه السلام) لم يكن قارئًا ومفسرًا للقرآن فقط، بل كان يعيش القرآن عمليًّا ويوظف تعاليمه في أقواله وأفعاله. هذا التكامل يظهر في مواضع متعددة من "نهج البلاغة"، حيث تمتزج الآيات القرآنية مع النصوص العلوية بطريقة تعبيرية تُظهر القيم الروحية.

على سبيل المثال، في خطبته الشهيرة في وصف المتقين، يقول الإمام: «أَصْبَحَ

قَلْبُهُ مَحْزُونًا، وَشَرُّهُ مَأْمُونًا، وَحَسَدُهُ مَعْدُومًا... إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣). هذا النص يوضح لنا مفهومًا قرآنيًّا عن التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: الآية ٥٤].

فالإمام علي (عليه السلام) استعمل القرآن بوصفه أساسًا لتعليم الناس، وبخاصة في المسائل الأخلاقية والسلوكية. ففي وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام)، يقول: «وَجَعَلَ لَكَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، لِتَكُونَ شَاكِرًا لَهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣١)، مقتبسًا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل: الآية ٧٨). هذا النمط من الإرشاد يؤكد العلاقة بين الإنسان وخالقه، ويدعو إلى التفكّر في النعم الإلهية.

وتُعدُّ الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة إحدى أبرز الأدوات البلاغية والفكرية التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) لتأسيس خطاب متماسك عقليًّا وروحيًّا. ولم يكن الإمام يورد الآيات في مقام الزينة اللغوية أو التبرك اللفظي فحسب، بل كان يوظفها لتكون جزءًا بنيويًّا من حجته الخطابية. وقد أشار علي الفتال إلى أنَّ هذه الظاهرة تتجلّى في عشرات المواضع، حيث يستهل الإمام حديثه بحجّة عقلية ثم يختمها أو يعززها بآية قرآنية، ممَّا يمنح الخطاب تأصيلًا إلهيًّا يسهم في رفع حجّته إلى مستوى لا يمكن دحضه (الفتال، ٢٠٢٢).

على سبيل المثال، في إحدى خطبه السياسية التي يصف فيها انحراف المجتمع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، يقول الإمام: «حَتّى إِذَا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ، وَارْتَدُّوا عَنِ الدِّينِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

رَسُولٌ﴾...»، [مقتبسًا من آل عمران: ١٤٤]. فهذا الاستعمال ليس تكرارًا للمألوف، بل هو إدراج موضعي يعزّز موقفه السياسي بتلاوة آية تُدين التراجع العقدي بعد وفاة الرسول، فاستحضار الآية في هذا السياق يمنح الإمام سلطة قرآنية ضمن مجاله الخطابي، ويُظهر استيعابه العميق لدلالة النص القرآني ضمن الظروف الاجتماعية والسياسية (الفتال، ٢٠٢٢).

ويشير الفتال إلى أنَّ الإمام لا يقتصر على الاقتباسات الظاهرة، بل يُضمّن بنيته الأسلوبية إشارات قرآنية غير مباشرة، أو ما يُعرف بالاقتباس غير النصي، مثلما يفعل عندما يقول: "ألا إن الشجرة تخرج من الصلب الغليظ"، في إحالة ضمنية إلى قصة الشجرة الملعونة (الإسراء: ٦٠)، على الرغم من أنَّه لم يذكرها نصًّا. ويعد هذا النمط من الإحالات نوعًا متقدّمًا من التضمين، يتطلب من المتلقي ثقافة قرآنية لفك شفرته الدلالية.

كذلك يستعمل الإمام القرآن بوصفه أداة تذكير، كما ورد في قوله: «وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ مَا لَا يَنْبَغِي، وَحَازٍ مَا لَا يَكْفِيه، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ؟» وهي جملة تحمل في طيّها أصداء واضحة من الخطاب القرآني، وبخاصةٍ من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ التي تتكرر في مواضع عدة (مثل: الأنعام: ٨٠، والقصص: ٦٠)، ممَّا يدلُّ على رسوخ النص القرآني في وجدان الإمام وأساليبه البلاغية (الفتال، ٢٠٢٢).

يشير الباحث كذلك إلى أنَّ الإمام يستدلُّ بالقرآن وجدانيًّا في المواقف الحاسمة، ففي الخطبة المعروفة بالقاصعة، يوظف الإمام آيات تتعلّق بإبليس، مثل: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ (البقرة: ٣٤)، ليُظهر خطر الكِبَر على الفرد والمجتمع، مشبّهًا أهل النفاق بإبليس في موقفهم الرافض للحق. فاستحضار هذه الآية في السياق يُعدُّ

أكثر من مجرّد اقتباس؛ بل هو استدعاء رمزي يعيد رسم الموقف العقائدي ضمن تصور قرآني محكم (الفتال، ٢٠٢٢).

في ضوء هذه المعاينات، يمكن القول إنّ الاستشهاد بالقرآن في نهج البلاغة لم يكن أداة بلاغية فقط، بل ممارسة فكرية تتداخل فيها العقيدة والسياسة والتربية، فلم يكن الإمام يوظف الآيات لتجميل خطابه، بل لبناء منهج متكامل يربط كل المواقف الدنيوية بحجج قرآنية. وبذلك، تُعدّ الاستشهادات القرآنية عند الإمام علي (عليه السلام) إحدى أدواته المعرفية لتأطير الواقع السياسي والروحي ضمن أفق إلهي.

وتوصّل الباحث إلى أنَّ هذه الطريقة الفريدة في الخطاب تفتح المجال أمام دراسات بلاغية جديدة، لا تنظر إلى الاقتباس القرآني على أنَّه مجرد تطعيم للنص، بل بوصفه عنصرًا تأسيسيًّا لبلاغة الحجة وبنية الرسالة (الفتال، ٢٠٢٢).

ففي بعض أدعيته (عليه السلام)، نلاحظ إدراجًا مباشرًا للآيات مع الحفاظ على ترتيبها القرآني، مثل الدعاء الذي يبدأ بـ: «يَا مَنْ قَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» (غافر: ٦٠). هنا يتم وضع الآية في بداية الدعاء كإطار عقدي يشرّع فعل الدعاء نفسه، ما يُظهر أنَّ الإمام يبني تواصله مع الله على أساس من النص الإلهي ذاته. وتكرار هذا الأسلوب في أدعية أخرى يظهر فهمًا عميقًا للوظيفة الدعائية للآية.

وفي موضع آخر، يقول الإمام: «يَا مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ»، وهي عبارة مشبعة من آية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦). لكن الإمام يُعدّلُ الصياغة قليلًا ليجعلها أكثر شخصية وصدقًا في لحظة التضرّع. يُشير هذا إلى ما يُعرف بـ"الاقتباس الحواري"، أي استعمال الآيات ضمن

خطاب ذاتي يخاطب به المؤمن ربّه، وليس جمهورًا عامًّا. ويعدُّ هذا النوع من الاقتباس أكثر عمقًا؛ لأنَّه يُفكّك الحدود بين النص المُنزَل والنص الناتج من القلب (الفتال، ٢٠٢٣).

ويبيّن الفتّال أنَّ الإمام كثيرًا ما كان يقتبس من الآيات التي تتحدث عن مغفرة الله، مثل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ (الزمر: ٥٣)، ثم يتبعها بعبارات إنسانية تُعبّر عن الشعور بالذنب، مثل: "إِلٰهِي، إِنِّي أَسْرَفْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَتُبْ عَلَيَّ". هذا التناسق بين النص القرآني والنص الذاتي يُنتج خطابًا مزدوجًا، فيه تداخل بين كلام الله وكلام العبد. وزاد الفتال أنّ هذا التداخل يظهر فلسفة الإمام التوحيدية التي ترى في الإنسان صورة متفاعلة مع الوحي وليست مفصولة عنه (الفتال، ٢٠٢٣).

وعند تحليل مجموعة من الأدعية تحليلًا لغويًّا، ظهر للباحث أنَّ الإمام يستعمل الآيات كما وردت حرفيًّا، أو يعيد تركيبها لتتناسب مع السياق الوجداني. مثلًا، في أحد أدعيته يقول: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ»، في إحالة غير مباشرة إلى آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)، مع تطويعها بما يتلاءم مع لحظة الخشوع.

أهمية الموضوع

تكتسب العلاقة بين القرآن الكريم و"نهج البلاغة" أهمية استثنائية؛ لأنَّها تُظهر قدرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على توظيف النص القرآني في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية التي واجهها المجتمع الإسلامي في عصره. هذا التوظيف القرآني لم يكن عشوائيًّا أو مقتصرًا على الاقتباس البلاغي، بل كان استنادًا إلى فهم عميق للنص المقدَّس، ممَّا أضفى على خطبه ورسائله قوة شرعية وفكرية استثنائية. إنَّ دراسة هذه العلاقة تُتيح فرصة لفهم كيفية استثمار

النص القرآني بوصفه انموذجًا إرشاديًّا يعالج التحديات الواقعية، ويُقدّم حلولًا تُحقق التوازن بين القيم الروحية والممارسات العملية.

من أهم القضايا التي تناولها الإمام علي (عليه السلام) في "نهج البلاغة" قضية العدالة الاجتماعية، التي شكلت محورًا أساسيًّا لخطبه ورسائله. والعدالة على وفق رؤية الإمام، ليست مجرد مطلب اجتماعي، بل هي جزء أساسي من الرسالة الإلهية. عندما يتحدث الإمام عن العدل، يستند إلى آيات قرآنية تعزز المفهوم وتربطه بالمشيئة الإلهية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠). هنا، يصبح القرآن مرجعًا يُكسبُ خطبه زخمًا فكريًّا وروحيًّا، ممَّا يجعل أفكاره تتجاوز كونها خطبًا بشرية لتُصبح جزءًا من رؤية إلهية أشمل.

وهناك جانب آخر محوري في خطب الإمام هو الزهد؛ إذ يضع الآخرة فوق المصالح الدنيوية، في انسجام واضح مع رؤية القرآن الكريم للعالم. فعندما يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ» (نهج البلاغة، الخطبة ٤٢)، يُعيد الإمام صياغة مفاهيم قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (القصص: ٨٣). هذا الاقتباس لا يُضيف قوة بلاغية إلى نصه فقط، بل يُظهر فلسفة الإمام التي تعد الدنيا محطة اختبار، في انسجام كامل مع الرؤية القرآنية.

إلى جانب ذلك، استعمل الإمام علي القرآن بوصفه أداة للإصلاح الاجتماعي، متناولًا قضايا الفساد والظلم، فعندما يُطالب الحُكّام بالعدل والرعية بالصبر، يُعيد تذكيرهم بالمبادئ القرآنية التي تُعزّز وحدة الأمة، وتنبذ الفرقة والظلم. هذا التداخل بين القرآن و"نهج البلاغة" يظهر التفاعل

الحيّ بين النصوص المقدَّسة والواقع الاجتماعي، إذ تحوّل الآيات إلى أدوات عملية لمواجهة مشكلات الزمن.

إنَّ دراسة العلاقة بين القرآن ونهج البلاغة ليست مجرد تحليل نصي، بل هي استكشاف لكيفية تحويل النصوص الدينية إلى مصدر توجيه وإصلاح مجتمعي. يُبرز هذا التداخل قدرة الإمام علي (عليه السلام) على الجمع بين عمق المعنى القرآني وبلاغة التعبير الإنساني، ليُقدِّم انموذجًا خالدًا يُحتذى به في كيفية التعامل مع النصوص المقدَّسة واتخاذها وسيلة لفهم الواقع وإصلاحه.

أهداف البحث

١. تحليل النصوص القرآنية المستشهد بها في نهج البلاغة، لفهم سياقاتها وأهميتها.

٢. استكشاف الدلالات الفكرية والروحية للاستشهادات.

٣. إظهار البُعد الجمالي والبلاغي لهذه النصوص.

٤. دراسة أثر هذه الاستشهادات في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية.

الإشكالية البحثية

السؤال الرئيس: كيف استعمل الإمام علي بن أبي طالب الآيات القرآنية في نهج البلاغة لتعزيز المعاني الفكرية والبلاغية؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما أبرز الآيات القرآنية المستشهد بها ؟

٢. كيف ساهمت الاستشهادات في تقوية الرسائل الفكرية؟.

٣. ما القيم الدينية والاجتماعية التي يُظهرها هذا التوظيف؟.

الفصل الأول:

الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة

تعريف الاستشهاد القرآني

الاستشهاد القرآني هو عملية توظيف الآيات القرآنية في داخل نصوص أدبية أو خطابية لتحقيق أهداف متعددة، من أهمّها دعم الأفكار المطروحة وإضفاء

عمق معنوي وقوة دينية على النص. في سياق الخطابة الإسلامية، يُعدُّ هذا الاستشهاد أداة فعّالة تضفي على النصوص مشروعيَّة دينيَّة وأخلاقيَّة، ممَّا يزيد من تأثيرها وإقناعها لدى المتلقين. هذه العملية ليست مجرد إدراج للآيات في النص، بل تتطلب فهمًا عميقًا لمعانيها وسياقاتها، لضمان استعمالها بما يخدم الرسائل الفكرية والبلاغية التي يهدف الكاتب أو الخطيب إلى إيصالها (Jur--Al jani,٢٠١٠).

يُظهر الاستشهاد القرآني أهميته في كونه وسيلة تربط بين النصوص البشرية والنصوص الإلهية، ممَّا يظهر التداخل بين المعرفة الدينية والخطاب البشري. في الخطابة الإسلامية، على سبيل المثال، يُستعمل هذا الاستشهاد لإضفاء قوة حجاجية على الأفكار، إذ يستند الخطباء إلى القرآن الكريم بوصفه نصًّا مقدَّسًا يتفق الجميع على مصداقيته وحُجيّته. هذا الاستخدام يُعزّز من قبول الرسائل المُقدّمة، ويمنحها بُعدًا يتجاوز حدود اللغة إلى الأبعاد الروحية والفكرية، ممَّا يترك تأثيرًا عميقًا في النفوس.

على المستوى الأدبي، يُستعمل الاستشهاد القرآني لإثراء النصوص بالجمال البلاغي والإيحاءات المعنوية. والنصوص التي تحتوي على آيات قرآنية تصبح أكثر قدرة على التأثير، ليس فقط بسبب قوة الآيات نفسها، بل لأنَّ القرآن الكريم يُمثّل مصدرًا للبلاغة والفصاحة في اللغة العربية. هذا التأثير يظهر بوضوح في الأدب العربي الكلاسيكي، إذ اعتمد الكُتّاب والشعراء على الآيات القرآنية لإضفاء رونق خاص على إبداعاتهم.

وفي خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المجمّعة في نهج البلاغة، نجد أمثلة غنية على استعمال الاستشهاد القرآني بأسلوب فني عميق. والإمام لم يقتصر على إدراج الآيات القرآنية، بل

جعلها جزءًا من سياق النصوص، ممَّا يظهر تفاعلًا حيًّا بين النصوص المقدَّسة والواقع. على سبيل المثال، عند حديثه عن أهمية الزهد، استشهد الإمام بالآية: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (القصص: ٨٣)، ليُبيّن موقفه الرافض للتعلّق بالمظاهر الدنيوية، وليؤكد على أهمية القيم الأخروية.

من ناحية أخرى، يُمكن عدُّ الاستشهاد القرآني أداة تعليمية في الخطابة الإسلامية، إذ يُستعمل لتذكير الناس بمبادئ الدِّين وتعاليمه. والقرآن الكريم يشكّل مرجعًا روحيًّا وأخلاقيًّا شاملًا، ممَّا يجعل إدراجه في الخطاب وسيلة لربط القضايا المطروحة بالأصول الدينية، وتوجيه المتلقين نحو التفكير في المعاني الأعمق. هذا النهج التعليمي يظهر جليًّا في الوصايا والخطب التي تدعو إلى العمل الصالح، مثل استعمال الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) لتوضيح أهمية العدالة كركيزة أساسية في المجتمع.

ووفقًا للجرجاني (٢٠١٠)، فإنَّ البلاغة القرآنية توفر نماذج لغوية ومعنوية يُحتذى بها، ولذلك فإنَّ الاستشهاد بالآيات لا يُعدُّ وسيلة إقناع فقط، بل يظهر تمازجًا بين جمال النص القرآني وبلاغة الخطاب البشري. هذا التمازج يُمكن عدُّه انعكاسًا للتكامل بين الفكر الديني واللغة، ممَّا يجعل النصوص التي تحتوي على استشهاد قرآني تحمل بُعدًا مزدوجًا، يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الروحي.

الاستشهاد القرآني ليس مجرد أداة زخرفية في النصوص الأدبية والخطابية، بل هو وسيلة فاعلة لإيصال المعاني، وتعزيز الحجج، وإغناء النصوص بالجمال البلاغي والقوة الروحية. في الخطابة الإسلامية، يُستعمل الاستشهاد لإضفاء مشروعية على الأفكار وتوجيه

المتلقين نحو المبادئ والقيم المستمدة من القرآن الكريم، ويمنح دمج الآيات في النصوص البلاغية فهمًا عميقًا للمعاني القرآنية وقدرة على تطويعها لخدمة الرسائل التي يراد إيصالها.

نماذج من الاستشهادات في نهج البلاغة

الإمام علي يُوظف الآيات القرآنية بأسلوب يجعلها جزءًا من بناء النص. ففي خطبته المعروفة بـ"الشقشقية"، ينتقد الإمام الاستئثار بالسلطة، قائلًا: ﴿وَتِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ...﴾ (القصص: ٨٣)، ليُعزّز فكرة الزهد عن السلطة والطمع في الدنيا (نهج البلاغة، ٢٠١٠، ص ٤٦).

مثال آخر يظهر في وصيته لمالك الأشتر، إذ يقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ...»، وهو مفهوم مرتبط بالآية: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨). يُبيّن الإمام علي كيف ينبغي للقائد أن يكون رحيمًا ومتسامحًا مع شعبه، مستلهمًا هذا المبدأ من النص القرآني.

الفصل الثاني:

تحليل الدلالات الفكرية للاستشهادات

تعزيز الفكرة الرئيسة

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُظهر في نهج البلاغة قدرة استثنائية على استعمال القرآن الكريم لتوضيح أفكاره الجوهرية وتعميق دلالاتها. ومن أبرز الموضوعات التي تناولها الإمام هو الزهد، الذي يُعدّ أحد الركائز الأخلاقية في رؤيته للحياة. فهو عند الإمام ليس عزوفًا عن الحياة بقدر ما هو تجاوز لفتنة الدنيا ومتعلقاتها الزائفة، والتركيز على القيم الأخروية الخالدة.

ففي خطبته الشهيرة، يخاطب الإمام الدنيا قائلًا: «يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا...»، ليُعلن موقفه الحاسم من إغراءات الدنيا وزخارفها (نهج البلاغة، الخطبة ٧٣). هذا الموقف يتسق مع الآية القرآنية: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل

عمران: ١٨٥)، التي تُحذّر من الاغترار بالدنيا واعتبارها الغاية النهائية. هنا، يظهر الاستشهاد القرآني بوصفه أداة لتعزيز المفهوم الذي ذكره الإمام، إذ يضفي البُعد الديني على رؤيته للزهد، ممَّا يجعلها أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

هذا الاستعمال للآيات لا يُضفي شرعية دينية على فكرة الزهد فحسب، بل يُثري النص بلاغيًّا ويُظهرُ فهمًا عميقًا لمعاني القرآن الكريم. الزهد كما يذكره الإمام علي هو موقف روحي يرتكز على التوازن بين الدنيا والآخرة، في انسجام تام مع القيم القرآنية التي تدعو إلى عدم الانغماس في متاع الدنيا الفاني. بهذا الشكل، يُحوّل الإمام الزهد إلى فكرة تنبض بالروح القرآنية، ممَّا يمنحها عمقًا فكريًّا وروحيًّا خالدًا.

الدلالات السياقية

يتجلّى وعي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) العميق بالواقع السياسي والاجتماعي في استشهاداته القرآنية التي يستعملها لتوجيه الأمة ومعالجة الأزمات التي واجهتها. ففي أعقاب معركة الجمل، وهي واحدة من أكثر الأحداث التي هزت وحدة المسلمين، وظَّف الإمام علي آية قرآنية لتحذير الأمة من الفتن وعواقبها، حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

باستشهاده بهذه الآية، أظهر الإمام فهمًا عميقًا لطبيعة الفتنة بوصفها خطرًا جماعيًّا لا يقتصر ضررها على الظالمين فقط، بل يمتد ليشمل الجميع إذا لم تُواجه بحزم. هذه الكلمات جاءت في سياق سياسي مشحون؛ حيث سعى الإمام إلى إعادة الاستقرار ووحدة الصف الإسلامي بعد نزاع داخلي مؤلم. وعن طريق هذا التحذير، دعا الإمام الأمة إلى اليقظة والتكاتف لمواجهة الفتن التي يمكن أن تؤدي إلى تدمير الكيان الإسلامي.

هذا الاستعمال للآية يُظهر رؤية

الإمام للفتنة بوصفها أزمة لا تقتصر على الصراعات السياسية فقط، بل تتجاوزها إلى التأثير في القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تمثل أساس المجتمع الإسلامي. هنا، ظهر الاستشهاد القرآني كوسيلة دينية وأخلاقية تحاكي الواقع وتوجه المسلمين نحو التصرّف بما يتوافق مع تعاليم الإسلام، ولا سيما في أوقات الأزمات.

إنَّ توظيف الإمام لهذه الآية يبين كيف استطاع المزج بين النص القرآني والواقع السياسي، ليقدّم انموذجًا قياديًّا يُظهر الحكمة والفهم العميق لقضايا الأمة، مسلطًا الضوء على أهمية الوحدة والعدالة في مواجهة التحديات.

أثر الاستشهاد في المتلقي

الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يقتصر على كونه أداة بلاغية، بل يُعزّز الأثر النفسي والروحي على المستمعين، ويُضفي قوة شرعية على مضامين كلامه. الإمام كان يستعمل الآيات القرآنية بطريقة تتفاعل مع المتلقين، فتُثير مشاعر الخشوع والرهبة من جهة، وتُعزّز القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي يدعو إليها من جهة أخرى. هذا التوظيف المتناغم يجعل من خطاب الإمام نصًّا ينطوي على ثقل ديني واجتماعي، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بمفاهيم مركزية مثل العدل.

والعدلُ يُعدُّ أحد المبادئ الأساسية في الحكم الإسلامي، إذ كان محورًا رئيسًا في خطب الإمام علي ورسائله لتعزيز هذا المبدأ، استشهد بآيات قرآنية تُبيّن مكانة العدل في الشريعة الإسلامية. على سبيل المثال، في رسالته إلى مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر، قال الإمام: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ...». هذه الوصية مستوحاة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

﴿بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

الآية لا تُضفي فقط شرعية إلهية على دعوة الإمام للعدل، بل تعمل على تذكير الحاكم والمحكوم بمسؤوليتهم أمام الله. هذا الاستشهاد القرآني يُعمّق الرسالة، ويجعلها ترتكز على أساس ديني وأخلاقي يصعب تجاهله. العدل في خطاب الإمام ليس مجرد قيمة قانونية، بل هو مسؤولية تُحتمها العقيدة، ممَّا يربط بين الحكم الإسلامي وقيم القرآن بشكل وثيق.

الآيات المُستشهد بها تؤثر على المستمعين بعمق؛ لأنها تستدعي النص الإلهي الذي يحمل معاني الخلود والقداسة. فعندما يستشهد الإمام بآيات مثل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فإنَّه يُحفّز النفوس للتفكّر في العدالة الإلهية بوصفها ركيزة للحياة الإنسانية. وهذا التأثير النفسي يدفع المستمعين ليس قبول كلام الإمام وحسب، بل إلى التفاعل معه بوصفه واجبًا دينيًّا.

يُزادُ على ذلك، فإنَّ ربط خطاب الإمام بالقرآن يُضفي عليه بُعدًا روحيًّا يُقرّب المستمعين من القيم التي يدعو إليها العدل، كما يُقدّمه الإمام علي، فهو لا يُعد مجرد نظام دنيوي بل هو إظهارٌ لقيم الإسلام الأزليَّة، ممَّا يجعل الالتزام به شرطًا لإرضاء الله وإقامة مجتمع عادل ومستقر.

إنَّ الاستشهاد القرآني في خطاب الإمام علي يُظهرُ قدرته الفريدة على الجمع بين الأثر النفسي والروحي، وتعزيز شرعية رسالته. عن طريق استدعاء آيات تتعلّق بالعدل، إذ يؤكد الإمام على مكانة هذا المبدأ في الحكم الإسلامي، مستندًا إلى النص القرآني لتعميق تأثير كلماته وترسيخ قيمه في قلوب المستمعين.

الفصل الثالث:

القيمة البلاغية والجمالية للاستشهادات

الإمام علي بن أبي طالب (عليه

السلام) يُعد أحد أعظم أعلام البلاغة والفصاحة في التاريخ الإسلامي. فخطبه ورسائله في نهج البلاغة ليست نصوصًا تعبر عن أفكار دينية وفلسفية عميقة فقط، بل أيضًا هي نماذج من البيان الذي يجمع بين المعنى العميق والجمال اللغوي، ممَّا يجعلها نصوصًا خالدة في التراث الإسلامي والعربي. وإنَّ أحد أبرز السمات التي تُميّز أسلوب الإمام البلاغي هو قدرته على توظيف النصوص القرآنية في خطبه، ممَّا يُضفي عليها أبعادًا روحية وفكرية عميقة. يناقش هذا المقال الأسلوب البلاغي للإمام علي مع التركيز على استعماله القرآن الكريم بوصفه جزءًا من جماليات النص وتكامل معانيه.

وكان الإمام علي شديد الحرص على بيان العقيدة الإسلامية بأسلوب يجمع بين الإيجاز والدقة، مع استخدام الصور البلاغية والتشبيهات التي تُقرّب المفاهيم إلى الأذهان. في حديثه عن التوحيد، يقول الإمام: «**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ**» (نهج البلاغة، الخطبة ١).

هذا النص يُظهر قدرة الإمام على الغوص في أعماق المفاهيم العقائدية بأسلوب يوازن بين المعنى الدقيق والجمال البلاغي. فهو يُعبّرُ عن مراحل التوحيد بتسلسل منطقي يظهر فهمًا فلسفيًّا عميقًا لمفهوم الإيمان بالله. هذا العمق المعنوي يُظهر قدرة الإمام على معالجة أكثر القضايا تعقيدًا بأسلوب مبسط، لكنه في الوقت ذاته مشحون بالجمال اللغوي.

في السياق نفسه، يستشهد الإمام بالآية الكريمة: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (النور: ٣٥)، لتوضيح مفهوم التوحيد. هذا الاقتباس ليس مجرد إدراج لفظي، بل هو توظيفٌ،

يُعزّز الفكرة التي يذكرها الإمام حول نورانية الله وظهوره في كل أرجاء الكون، مع تنزيهه عن الصفات المادية. بهذا الأسلوب، يُبرز الإمام علي براعته في استعمال النص القرآني لإضفاء أبعاد روحية وجمالية على خطبه، ممَّا يجعل المستمع يعيش تجربة فكرية ولغوية وروحية في آن واحد.

ومن أبرز مظاهر الجمال في خطاب الإمام علي هو استعماله الصور البلاغية التي تجعل المعاني المجردة محسوسة. على سبيل المثال، عند حديثه عن خلق الكون، يقول: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ١).

في هذه العبارة، نجد أنَّ الإمام قد استعمل التكرار والطباق، إلى جانب الصور البلاغية مثل: "غوص الفطن"، ليُظهر استحالة إدراك الله بالعقل البشري. هذه الأساليب تُعطي النص جمالية لغوية عميقة، إذ تصبح الألفاظ وسيلة لإظهار عجز الإنسان أمام عظمة الخالق.

الإمام علي يُتقن فن الإيجاز دون إخلال بالمعنى، إذ يُعبّر عن أفكار عميقة بأقل عدد ممكن من الكلمات. ففي وصيته لابنه الحسن (عليه السلام)، يقول: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ» (نهج البلاغة، الرسالة ٣١).

في هذه الوصية، استعمل الإمام أسلوبًا موجزًا ولكنَّه مكثّفٌ، إذ تختصر الكلمات معاني واسعة عن الزهد

والتفكر في الحياة والموت. والإيجاز هنا ليس مجرد أسلوب بلاغي، بل هو أيضًا طريقة تجعل النص سهل الحفظ والتأمل، ممَّا يزيد من تأثيره في المستمع والقارئ.

الإمام علي لم يكن يقتبس القرآن الكريم بشكل حرفي فقط، بل كان يوظفه في سياقات تجعل النص القرآني جزءًا لا يتجزأ من خطبته. على سبيل المثال، عندما يتحدَّث عن الفتنة والظلم، يقول: «اِتَّقُوا اَللهَّ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ اَلْبِقَاعِ وَاَلْبَهَائِمِ»، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥).

في هذا الموضع، يستعمل الإمام الآية لتوسيع نطاق تحذيره من الفتنة ليشمل المسؤولية الجماعية التي تتجاوز الفردية. وهذا التوظيف يجعل الاستشهاد القرآني ليس مجرد إضافة بلاغية، بل هو جزء محوري من الحجة التي يقدّمها الإمام لتعميق فهم المستمع وتحفيزه على العمل.

ولا شك في أنَّ آيات القرآن المُستشهد بها تُضفي بُعدًا روحيًّا على النص، ممَّا يُعزّز تأثيره النفسي على المستمعين. فعندما يستشهد الإمام بآية مثل: ﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فإنه لا يدعم فكرة العدل كقيمة دينية فقط، بل يجعلها واجبًا إلهيًّا مرتبطًا برضا الله. وهذا الأسلوب يُحفّز النفوس على الالتزام بالقيم الإسلامية، ويجعل من الخطاب وسيلة تربوية تُرسّخ المفاهيم الدينية.

ومن المواضيع المهمّة في نهج البلاغة الزهد، إذ يُبيّنُ الإمام قصر الحياة الدنيا وزوالها. في خطبته الشهيرة عن الدنيا، يقول: «يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا...» (نهج البلاغة، الخطبة ٧٣). هذا التعبير يُظهر موقفًا حاسمًا من إغراءات الدنيا، ويستند إلى الآية الكريمة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا

مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

فالإمام لا يقتصر على ذكر الآية، بل يجعلها جزءًا من بناء نصه البلاغي الذي يُظهر فكرة الزهد كقيمة أخلاقية وروحيَّة. هذا المزج بين النص القرآني والجماليات البلاغية يُعطي الخطبة قوة تعبيرية وروحية تجعلها تؤثر في القلوب وتوجه النفوس نحو التفكّر في الحقيقة الأخروية.

الإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ انموذجًا متفردًا في الجمع بين المعنى العميق والجمال اللغوي. فأسلوبه البلاغي يعتمد على التفاعل الحي بين النصوص القرآنية وخطبه، ممَّا يخلق نصوصًا تمتاز بالعمق الفكري والروحاني. عن طريق توظيفه المتقن للقرآن الكريم، الذي يُضفي على كلامه بُعدًا شرعيًّا وروحيًّا، يُعزّز من قوة الحجة ويُضفي عليها طابعًا خالدًا.

إنَّ خطاب الإمام ليس مجرد بلاغة لغوية، بل هو أيضًا مدرسة فكرية وأخلاقية وروحية، تسعى إلى توجيه الناس نحو القيم الإسلامية العليا. هذا المزج بين القرآن والبلاغة في خطب الإمام يُظهر عبقرية لغوية وفكرية جعلت من نهج البلاغة أحد أهم النصوص في التراث الإسلامي.

الجماليات الأدبية

الجمال يظهر في كيفية دمج النصوص القرآنية بسلاسة. مثلاً، قوله: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءَ مَا جَهِلُوا...» يرتبط ضمنيًّا بقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩). هذا الدمج يُظهر فهمًا عميقًا للعلاقة بين الفكر الإنساني والنص القرآني.

والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يُعدُّ من أبرز الأعلام الذين استطاعوا الجمع بين الفكر الفلسفي والجمال البلاغي، ممَّا يجعل نصوصه في نهج البلاغة نموذجًا فريدًا يتفاعل فيه العقل مع الروح. وأنَّ أحد الجوانب الأكثر تميزًا في أسلوبه هو قدرته على

دمج النصوص القرآنية في خطبه ورسائله بطريقة طبيعية وسلسة، حيث تصبح الآيات جزءًا عضويًّا من بنيان الخطاب، لا مجرد اقتباسات تدعم المعنى. وهذا الدمج ليس مجرد إضافة نصوص إلهية على كلام بشري، بل هو عملية تكامل بين الفكرة الإنسانية والنص المقدس، ممَّا يُعطي فهمًا عميقًا للقرآن الكريم وللعقل البشري في آنٍ واحد.

ومن الأمثلة التي تُظهر عبقرية الإمام في دمج النص القرآني مع خطابه البشري قوله: «**النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، وَحَلِيفُ لِمَا أَنْكَرُوا**» (نهج البلاغة، الحكمة ١٧٣). هذه العبارة التي تفيض بالحكمة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقوله تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ (يونس: ٣٩). وهنا يظهر الدمج بطريقة غير مباشرة، ولكنها عميقة؛ فالإمام يستحضر الجوهر القرآني الذي يشير إلى طبيعة الإنسان في رفض ما يجهل وتكذيب ما لا يدركه.

هذا التداخل بين النص البشري والنص الإلهي يظهر رؤية فلسفية عميقة لدى الإمام علي، وهي أنَّ الفكر الإنساني محدود بمقدار ما يستطيع إدراكه. والجهل هنا ليس مجرد نقص في المعرفة، بل هو موقف سلبي يمنع الإنسان من التفاعل مع الحقيقة. فالإمام (عليه السلام)، عن طريق استحضار الروح القرآنية، يضع قضية الجهل في سياق معرفي وأخلاقي، إذ يربط بين رفض الجاهل للحقيقة وقصور عقله عن فهم التعقيد الإلهي.

والإمام علي لا يقتصر على الاقتباس المباشر من القرآن، بل يُدمج روحه ومعانيه في نسيج خطابه بأسلوب يجعل القارئ أو المستمع يشعر بأنَّ النصَّين، البشري والإلهي، ينتميان إلى مصدر واحد. في قوله: «**اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**»، لا نجد استشهادًا حرفيًّا بالآية

القرآنية، بل نجد تفاعلًا بلاغيًّا وفكريًّا عميقًا مع المعنى القرآني. هذا الدمج يُظهرُ جمالًا بلاغيًّا يتجاوز حدود اللغة ليصل إلى مستوى المفهوم، حيث يستدعي الإمام المعنى القرآني ليصبح جزءًا من خطابه.

والإمام علي لم ينظر إلى النص القرآني بوصفه نصًّا ثابتًا ومغلقًا، بل تعامل معه بوصفه نصًّا حيًّا، يتفاعل مع الفكر الإنساني والواقع الاجتماعي. في المثال السابق، نجد أنَّ الإمام يُظهر فهمًا فلسفيًّا للعلاقة بين العقل الإنساني والنص الإلهي. والجهل، كما يذكره الإمام، ليس مجرد حالة فكرية، بل هو عقبة نفسية وأخلاقية تمنع الإنسان من الانفتاح على الحقيقة. وهذا الفهم يتناغم مع الآية القرآنية التي تُظهر أن تكذيب الإنسان للحقيقة مرتبط بحدود علمه وإدراكه.

إنَّ الإمام (عليه السلام)، عن طريق هذا الدمج، يعيد تفسير العلاقة بين النصوص القرآنية والفكر الإنساني، إذ يجعل من الآيات القرآنية منطلقًا لفهم طبيعة الإنسان ومعضلاته الفكرية والأخلاقية.

والجمال في أسلوب الإمام علي يظهر في كيفية جعله المعاني الفلسفية العميقة تتدفق بسلاسة في قالب لغوي مميز. عندما يستحضر روح الآية: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩)، فإنَّه لا يُقدّم تفسيرًا تقليديًّا للنص، بل يعيد صياغة المعنى في إطار فلسفي يظهر طبيعة العلاقة الجدلية بين الإنسان والمعرفة. فالعبارة: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا» تحمل دلالة جمالية تتجاوز اللفظ، وتنطوي على صورة عميقة تُظهر الإنسان في مواجهة الحقيقة التي تتطلب منه جهدًا فكريًّا وروحيًّا لفهمها.

وهنا يكمن الجمال في البساطة الظاهرة التي تخفي وراءها تعقيدًا فكريًّا، يجعل النص مفتوحًا للتأمل

والتفسير. الإمام لا يُخاطب عقول الناس فقط، بل يُخاطب أرواحهم أيضًا، ممَّا يجعل عباراته تتجاوز الزمن وتظل مؤثرة عبر العصور.

فالإمام علي يُضيف بُعدًا إنسانيًّا وروحيًّا للنص القرآني عندما يُدمجه بخطابه. ففي قوله المرتبط بآية سورة يونس، لا يكتفي بتوضيح طبيعة الجهل، بل يُبدي ضرورة تجاوز الإنسان لهذه الحالة للوصول إلى الحقيقة. وهذه الرسالة تُظهر فهمًا عميقًا للقرآن كونه كتابًا ليس للوعظ فقط، بل كونه منهجًا لفهم الطبيعة البشرية. فالإمام يجعل من الآية نقطة انطلاق لتأمل أوسع حول المعرفة، والجهل، والارتباط بينهما.

عبارات الإمام المستوحاة من القرآن تُحدث أثرًا نفسيًّا عميقًا في المستمع. واستعماله لعبارة: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»، المرتبطة ضمنيًّا بالآية القرآنية، يُثير في النفوس الإحساس بالمسؤولية تجاه البحث عن المعرفة وتجنب الوقوع في فخ الجهل. هذه الرسائل ليست مجرد تأملات فلسفية، بل هي دعوات للتغيير الذاتي والإصلاح الاجتماعي.

والإمام، عن طريق هذا الدمج، يُحوّل النص القرآني إلى أداة تربوية تُعلّم الناس قيمًا إنسانية عميقة، مثل التواضع أمام الحقيقة، والسعي المستمر لاكتساب المعرفة.

فالإمام علي (عليه السلام) يُعدُّ انموذجًا فريدًا في كيفية دمجه بين الجمال البلاغي والفكر الفلسفي، مع استلهام النصوص القرآنية لتعزيز مفاهيمه وتوضيحها. فقوله: «اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»، الذي يرتبط بآية: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾، يُظهرُ هذا التفاعل العميق بين الفكر الإنساني والنص الإلهي. والجمال في هذا الدمج لا يقتصر على اللفظ أو المعنى الظاهري، بل يشمل العمق الفلسفي الذي يجعل النصوص مفتوحة للتأويل والتفكير

عبر العصور.

وبهذا الأسلوب، يُظهر الإمام علي فهمًا متقدّمًا للقرآن بوصفه كتابًا حيًّا يتفاعل مع الحياة والفكر، ممَّا يجعل من خطبه مصدرًا للإلهام الفكري والروحي لكل من يسعى لفهم أعمق لطبيعة الإنسان وعلاقته بالحقيقة.

الخاتمة

الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه من دراسة أسلوب الإمام علي (عليه السلام) البلاغي وتفاعله مع النصوص القرآنية هو أنَّ خطابه يشكّل انموذجًا فريدًا من التفاعل بين الفكر الإنساني والإلهي. والإمام لم يكن مجرد خطيب أو واعظ ينقل النصوص الدينية بأسلوب تقليدي، بل كان مفكّرًا عميقًا استطاع أن يُوظّف القرآن بطريقة تجمع بين جمال التعبير وقوة الفكرة. وأنَّ دمج النصوص القرآنية في خطبه ورسائله لم يكن سطحيًّا أو زينة بلاغية، بل عملية تكامل فكري وروحي تُظهر عمق فهمه للقرآن كمنظومة معرفية وقيمية متكاملة. ومن هذا النهج، قدَّم الإمام علي انموذجًا عمليًّا لكيفية استعمال النصوص المقدَّسة ليس لتأكيد المواقف الفكرية فقط، بل أيضًا لتوجيه الإنسان نحو قيم أعمق تتعلّق بالعدل، والزهد، والمعرفة، ومواجهة الجهل.

ما يميز تجربة الإمام هو إدراكه العميق لحاجة الإنسان إلى لغة تحمل أبعادًا متعددة: عقلية، نفسية، وروحية. وعند الحديث عن التوحيد، أو الزهد، أو العدالة الاجتماعية، كان الإمام يُخاطب الناس بلغة تنبض بالروح القرآنية، فتتجاوز حدود الكلمات لتلامس القلوب والعقول في آن واحد. ورسائله حول العدل، على سبيل المثال، لم تكن مجرد دعوة سياسية، بل رؤية أخلاقية تتجذر في قيم القرآن. هذا النهج يُعطي درسًا أخلاقيًّا عظيمًا مفاده أنَّ النصوص المقدَّسة يجب أن تُفهم وتُوظف بطريقة تعزّز القيم الإنسانية

الجامعة، وتساهم في إصلاح الواقع بدل أن تُستخدم كأداة للجدل العقيم أو الانغلاق الفكري.

إنَّ البحث في أسلوب الإمام علي وأثر القرآن في خطابه يُظهر أهمية فهم السياق عند دراسة النصوص الدينية، فالإمام علي استعمل النصوص القرآنية بوعي كامل بالسياقات التي يخاطبها، ممَّا يعني أنَّ النصوص لا تنفصل عن ظروف الناس وحاجاتهم. وهذه نقطة يجب أن تُلهم الباحثين في العصر الحالي عند تناول النصوص الدينية، إذ تظهر الحاجة إلى قراءة النصوص المقدسة ضمن سياقها التاريخي والواقعي لفهم الرسائل التي تحملها للزمن المعاصر. وهذه المنهجية تجعل من النصوص الدينية أداة لتوجيه الإنسان نحو التطور والإصلاح بدلًا من الجمود أو التأويل السلبي.

ونوصي الباحثين المستقبليين الذين يدرسون أسلوب الإمام علي أو أي شخصية تاريخية دينية النظر إلى النصوص بوصفها نتاجًا لتفاعل عميق بين الإنسان وظروفه التاريخية من جهة، وبين القيم الإلهية من جهة أخرى. وأنَّ دراسة خطب الإمام لا يجب أن تتوقف عند حدود تحليل الجماليات البلاغية أو عمق الفكرة، بل ينبغي أن تشمل أيضًا الأثر النفسي والاجتماعي لهذه النصوص على المستمعين. كيف استطاعت هذه النصوص أن تُلهمهم؟ كيف كانت أداة لتحفيزهم على التغيير أو مواجهة الأزمات؟ هذه أسئلة لا تقل أهمية عن التحليل النصي.

والدرس الأخلاقي الذي نستخلصه من دراسة أسلوب الإمام هو أهمية البحث عن التوازن بين الفكر والقيم في كل خطاب ديني أو فلسفي. فالإمام علي لم يفصل بين الحقائق العقلية والمبادئ الأخلاقية، بل كان يرى أنَّ الإنسان بحاجة إلى البُعدين كليهما معاً ليعيش حياة ذات معنى. هذه الرؤية يمكن أن

تكون أساسًا لأي خطاب يُراد له أن يكون مؤثرًا وعميقًا، ولاسيَّما في زماننا هذا حيث تعاني المجتمعات من التوتر بين الفكر المادي والقيم الروحية.

الإجابة عن سؤال البحث حول تأثير القرآن في بلاغة الإمام علي تكمن في فهم الطريقة التي استطاع بها الإمام أن يجعل من النص القرآني مصدرًا للإبداع الفكري والروحي. هذا التأثير لم يكن مجرد توظيف للنصوص، بل إعادة إحياء لمعانيها في سياقات جديدة، بحيث تصبح جزءًا من الحلول لمشكلات العصر. فالإمام علي قدَّم انموذجًا عمليًّا للإبداع في استعمال النصوص الدينية، بحيث تتحول من مجرد نصوص جامدة إلى مفاهيم ديناميكية تُلهم الأفراد وتُصلح المجتمعات.

في النهاية، ما يجعل دراسة أسلوب الإمام علي مُلهمة هو أنَّها تُظهر كيف يمكن للبلاغة أن تكون أكثر من مجرد فن لغوي؛ فهي وسيلة للتعبير عن قيم أعمق تتعلّق بحياة الإنسان ومصيره. والباحث الذي يسعى لفهم خطب الإمام يجب أن يُدرك أنَّ الجمال في هذه النصوص لا ينفصل عن جوهرها الإنساني والروحي. والخطاب الذي يُحدث تغييرًا حقيقيًّا هو ذلك الذي يجمع بين صدق الفكرة، وعمق القيم، وجمال التعبير. هذا ما قدَّمه الإمام علي في خطبه ورسائله، وما يجب أن يكون درسًا لكل من يسعى لصياغة خطاب إنساني خالد.

النتائج

١. أظهر الإمام علي في نهج البلاغة قدرة فريدة على توظيف القرآن لتعزيز القيم الدينية والاجتماعية.

٢. تُظهر الاستشهادات البُعد البلاغي والفكري لنصوص الإمام، ممَّا يجعلها ذات تأثير كبير على المستمعين.

٣. أدَّت السياقات السياسية والاجتماعية دورًا مهمًّا في اختيار الآيات

المستشهد بها.

التوصيات

١. دراسة مقارنة بين الاستشهادات القرآنية في نهج البلاغة والخطابة الإسلامية الأخرى:

يُعدُّ هذا المحور من المجالات الخصبة التي يمكن أن تفتح آفاقًا جديدة في دراسة البلاغة الإسلامية. ومن المهم أن تتناول دراسة مقارنة كيفية استشهاد الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن الكريم في نهج البلاغة مقارنة بالخطباء الآخرين من الحقبة نفسها، مثل الخلفاء أو الصحابة البارزين، وكذلك مع خطباء العصور اللاحقة في التاريخ الإسلامي.

ومن النقاط التي يمكن تناولها في هذه الدراسة:

أسلوب التوظيف: هل كان استشهاد الإمام علي مباشرًا أو ضمنيًّا؟ وكيف يختلف هذا عن أسلوب خطباء آخرين؟

الموضوعات المشتركة: مقارنة الموضوعات التي كانت محور الاستشهاد، مثل العدل، الزهد، التوحيد، والإصلاح الاجتماعي.

الأثر البلاغي: دراسة التأثير الجمالي والاستدلالي الذي أحدثته الآيات القرآنية في خطب الإمام مقارنة بخطب الآخرين.

السياق السياسي والاجتماعي: كيف تباينت أهداف الاستشهاد القرآني لدى الإمام علي في مواجهة الفتن، مع استشهادات خطباء آخرين في سياقات مشابهة أو مختلفة.

هذه الدراسة لن تُظهر تفرد أسلوب الإمام علي في الاستشهاد فقط، بل ستكشف أيضًا عن تطور الخطابة الإسلامية وتأثير النص القرآني في تشكيل ثقافة البلاغة والخطاب الديني.

٢. التعمق في دراسة التأثيرات النفسية والروحية للنصوص القرآنية ضمن الخطب السياسية:

يُعدُّ نهج البلاغة مثالًا واضحًا على كيفية استثمار النصوص القرآنية لتوليد تأثير عميق على المستوى النفسي والروحي لدى المستمعين، وبخاصة في سياقات سياسية مشحونة مثل مرحلة ما بعد الخلافة الراشدة. يمكن أن تكون هذه الدراسة بمنزلة استكشاف لتأثير الخطاب الديني السياسي على تشكيل العواطف والمواقف داخل المجتمعات الإسلامية.

المحاور التي يمكن أن تشملها هذه الدراسة:

التأثير النفسي للآيات القرآنية: تحليل كيفية استدعاء الإمام علي للآيات القرآنية لتوجيه مشاعر الرهبة، والخشوع، أو الإصرار لدى مستمعيه.

التأثير الروحي: دراسة كيف استطاع الإمام أن يجعل من الآيات القرآنية أداة لإحياء القيم الروحية مثل التواضع، الصبر، والرضا بالقضاء الإلهي في مواجهة أزمات سياسية واجتماعية.

الآيات القرآنية في مواجهة الأزمات: تحليل خطب الإمام في فترات الصراع، مثل معركة الجمل أو صفين، ودراسة كيف وظّفَ القرآن لتقوية الروح المعنوية لدى أتباعه، أو لتوجيه خطابه نحو تحقيق الوحدة بين المسلمين.

النتائج الاجتماعية والسياسية: كيف ساهم هذا التأثير النفسي والروحي في تحقيق أهداف سياسية، مثل تهدئة الفتن، أو تعزيز شرعية القيادة، أو ترسيخ القيم الإسلامية في مواجهة الانقسامات.

يمكن أيضًا توسيع الدراسة لتشمل خطبًا سياسية لشخصيات تاريخية إسلامية أخرى، مثل الخلفاء الأمويين أو العباسيين، لمعرفة كيف استعملت الطبقات السياسية القرآن الكريم لتحقيق أغراضها.

٣. دراسة دور الاستشهاد القرآني في تعزيز القيم الأخلاقية والاجتماعية:

يُوصى بأن تركز دراسات أخرى على كيفية استثمار الإمام علي للنصوص القرآنية لتعزيز قيم مثل العدل، والشورى، والزهد، والتسامح. هذه القيم ليست موجهة للأفراد فقط، بل للمجتمع عامة. وأنَّ دراسة هذه النقطة يمكن أن تلقي الضوء على دور الخطاب القرآني في إعادة صياغة المجتمع الإسلامي بعد الفتن الكبرى.

المحاور الممكنة لهذه الدراسة:

التأكيد على العدل: كيف جعل الإمام العدل مركز خطابه، وكيف استند إلى القرآن لإظهاره كقيمة إلهية لا غنى عنها في الحكم.

إعادة تشكيل الهوية الاجتماعية: كيف استُعمل القرآن كأداة لخلق وعي جماعي يعيد بناء المجتمع الإسلامي على أسس أخلاقية بعد الانقسامات السياسية.

توجيه الحكام والرعية: دراسة النصوص التي استشهد بها الإمام في خطبه ورسائله لتوجيه الحاكم نحو العدالة، والرعية نحو الطاعة المشروطة بالحق.

٤. البحث عن آليات جديدة لاستثمار النصوص القرآنية في الخطاب المعاصر:

إحدى التوصيات المهمة هي البحث عن كيفية توظيف تجربة الإمام علي في الاستشهاد القرآني لتطوير الخطاب الإسلامي المعاصر. في عالم يعاني من أزمات أخلاقية وفكرية، يمكن أن تكون خطب الإمام انموذجًا يُحتذى به في توجيه الخطاب الديني نحو تعزيز الوحدة، والتفاهم بين الشعوب، وترسيخ القيم الإنسانية.

التواصل مع الجمهور الحديث: دراسة كيف يمكن تكييف أسلوب الإمام علي في استحضار القرآن لجعله مؤثرًا في الخطاب الإعلامي والدعوي الحديث.

التعامل مع الأزمات الحديثة: تحليل

استشهادات الإمام المتعلّقة بالفتنة والانقسام، وكيف يمكن استعمالها في مواجهة الأزمات الفكرية والسياسية في العالم الإسلامي اليوم.

الربط بين الدين والواقع: دراسة كيفية استلهام تجربة الإمام في جعل القرآن مرتبطًا بقضايا الإنسان اليومية، ممَّا يُعزّز دور الدين بوصفه أداة لحل المشكلات، وليس مجرد نصوص جامدة.

هذه التوصيات ليست سوى خطوات مبدئية لدراسة تراث الإمام علي بشكل أعمق، وبخاصة في كيفية تعامله مع النص القرآني وتوظيفه لخدمة قضايا إنسانية واجتماعية وسياسية عميقة. عبر استثمار هذه النقاط البحثية، يمكن للباحثين أن يُعيدوا اكتشاف الجماليات البلاغية، والفلسفة الأخلاقية، والرؤية القيادية التي قدَّمها الإمام علي، ممَّا يُثري فهمنا للتراث الإسلامي، ويُقدّم حلولًا جديدة للتحديات الفكرية والروحية في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الجاحظ، (٢٠٠٦)، البيان والتبيين. القاهرة: دار المعارف.

٢. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠٠٠)، دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣. عبد الحليم، م. أ. س، (٢٠٠٥)، القرآن: ترجمة جديدة. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

٤. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠١٠)، دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب.

٥. الجرجاني، عبد القاهر، (٢٠١٠)، أسرار البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. المودودي، أبو الأعلى، (٢٠٠٢)، نحو فهم القرآن. ليستر: المؤسسة الإسلامية.

٧. الرضي، محمد بن الحسين (المجمع)، (٢٠١٧)، نهج البلاغة (ترجمة: ياسين التيجاني الجيبوري). قم: منشورات أنصاريان.

٨. الطبري، محمد بن جرير، (١٩٨٧)، تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. القاهرة: دار المعارف.

٩. أيوب، م، (١٩٨٤)، القرآن ومفسروه: المجلد الأول. ألباني: منشورات جامعة ولاية نيويورك.

١٠. إسبوزيتو، جون، (١٩٩٨)، الإسلام: الطريق المستقيم. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد.

١١. حسين، طه، (١٩٩٤)، روح الحضارة الإسلامية. القاهرة: دار الهلال.

١٢. خليدي، ت، (٢٠٠٥)، الفكر التاريخي العربي في العصر الكلاسيكي. كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.

١٣. مادجان، دانييل أ، (٢٠٠١)، الصورة الذاتية للقرآن: الكتابة والسلطة في نص الإسلام المقدس. برينستون: مطبعة جامعة برينستون.

١٤. نصر، سيد حسين، داغلي، كنان

كريمو، دقاق، محمد مصطفى، لومبارد، جوزيف إبنر بيرمان، رستم، محمد (محررون)، (٢٠١٥)، دراسة القرآن: ترجمة جديدة وتعليق. نيويورك: هاربر وان.

١٥. الفتال، ع. (٢٠٢٢). من خصائص نهج البلاغة: الاستشهاد بالقرآن. مجلة المبين. مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة.